س ٢: هل مسيرتنا قادرة على إعادة صياغة الأفراد والأفكار؟

من المفيد التذكير بمايلي:

كلمة ماركس الشهيرة «إذا كانت الظروف هي التي تصنع الانسان فعلينا أن نصنع ظروفاً إنسانية» أي أن الظروف قادرة، وعملنا الثوري، بلا شك، عامل كبير بالظروف، وعي جديد، قيم جديدة، مهمات، علاقات، أجواء، أحلام... ليتذكر كل واحد فينا أين كان وأين أصبح، ولنتذكر الدور التغييري الذي نقوم به في المجتمع...

بل إن ماركس يتحدث عن البراكسيس، أي عملية فعل وانفعال، تأثير وتأثر، ففي غمرة العمل، الناس يغيرون الواقع ويغيرون أنفسهم. ولكن هذا ليس بالمسألة البسيطة أو الأوتوماتيكية، وإنما يشار لروحها وحسب. ولنتذكر كلمات كاسترو كيف تعلم وأصبح ماركسياً في الجبل، أي في السييرا مايسترا، بلا شك أن حياة العصابات في الأدغال بما يصاحبها من تدريبات وقتال وجماعية وتقشف والتحام بالقضية وتثقيف... هي الأسرع في إعادة صياغة المقاتلين وتفكيرهم...

أما فرويد، وإن قامت نظرياته على اللبيدو واللاوعي، فقد أشار أيضاً إلى أن الفرد ما أن ينخرط في جماعة حتى يكتسب سمات خاصة لم تكن موجودة لديه، أو أنها موجودة ولكنه لا يبوح بها...

وصولاً إلى كلمات غوستاف لوبون عن دور القائد المحرّك للجمهور، وأن التحريض يذوّب الفرد في الجماعة، بصرف النظر عن آرائه حول لاعقلانية الجمهور ومحدودية أو لا جدوى التفكير النقدي في إقناع الجمهور...

فالمهم هنا هو القدرة على التأثير في الجمهور وتماهي الفرد، بما يصاحبه من تحولات، في شخصية الجماعة...

وهذه الآراء كلها تأسيسية لعلم النفس الذي قفز قفزات هائلة في القرن الأخير... وما يهمنا هو القول.

علينا المثابرة في تعبئة عناصرنا برؤية نقدية ثورية، وليس مجرد تهييج عاطفي، كما ينصح لوبون، وتلاحظون أن الحكيم كأبرز قائد قد لعب الدور الأساس في صياغة الاستراتيجية السياسية والتنظيمية التي أقرت عام ٦٩... بما كان لها من تأثيرات على إرساء الحزب على سكة العقلانية الثورية... وما تلاها من تقارير...

وخطاباته الجماهيرية أيضاً، تحتوي دائماً تحليلات ومواقف ومعطيات عقلانية ترفع من مستوى الوعي الجماهيري وتؤثر فيه باتجاهات معينة...

هذا نموذج للدور المنوط بنا، إذ لن نضيف شيئاً للتاريخ والوعي إذا اقتصر دورنا على التهييج الشعبوي، أو دعونا نقول، لنترك لسوانا هذا الدور، مع الأسف.

إذا لم يرتبط النضال الفلسطيني، بثقافة وطنية مسؤولة، قولوا على هذا النضال السلام، وإلا كيف نفسر قصف قواعدنا عام ٧٧ في لبنان، وكيف نفسر اقتتال فتح – فتح والآخرين في البقاع وطرابلس...